المقدمة

مقدمة

يعد موضوع الهوية من الموضوعات التى تبرز تاريخ وأصالة الشعوب، فإذا كان من الممكن دراسة الطابع القومى للشخصية لدى أى شعب من الشعوب، بالرجوع إلى مجموعة متنوعة من المؤثرات المركبة – التاريخية، والدينية، والتعليمية، والأدبية، والجغرافية، فإن هذا الأمر يعتبر شبه مستحيل تطبيقه، عند التعريف بهوية اليهود، وذلك لأن دولة إسرائيل دولة اصطناعية، وليست طبيعية، لذا فقد ظهرت فيها إشكالية الهوية بشكلٍ كبير، نظراً لأن الشعب لم ينشأ على أرضه، فقد جاءوا من كل حد وصوب، وتأثروا بتاريخ، وثقافات الشعوب التى جاءوا منها، مما صعب الأمر عند تحديد هويتهم، عندما جاءوا إلى إسرائيل. وظلوا فى بحثٍ دائم عن هويتهم حتى الآن، دون تعريف.

من هنا شكلت قضية الهوية موضوعاً جوهرياً بين اليهود قبل إقامة دولة إسرائيل، وتأثرت بهويات الشعوب الأخرى، وعندما جاءت الحركة الصهيونية، ونادت ببناء هوية اليهودى الجديد، بعيداً عن هويات الشعوب التى كان اليهود يعيشون بينها، وأرست مفاهيم مثل "بوتقة الصهر" و "جمع الشتات"، واستعملت الكثير من الأدوات لتحقيق ذلك، لم تكن تتوقع أن الهويات المختلفة، لهؤلاء اليهود، بأبعادها العرقية، والطائفية، والدينية، سوف تلعب دوراً كبيراً فى ديناميكية التغيير، التى تُميز المجتمع الإسرائيلى، وذلك بسبب القادمين إليها ذوى الثقافات المختلفة. مما جعلها تفشل فى تحديد هوية واضحة المعالم لليهود فى إسرائيل، وهو ما نتج عنه بعد ذلك، أن حاول المجتمع أن يجد لنفسه هوية ينتمى إليها، فظهر ما يُسمى "بالهوية الكنعانية"، التى رأت أن هويتها لها جذور راسخة فى فلسطين، على اعتبار أن الأمة العبرية القديمة خرجت إلى الوجود فى الإطار الكنعانى الممتد من نهر الفرات شرقاً وحتى ساحل البحر المتوسط غرباً، ومن الحدود المصرية جنوباً إلى الحدود التركية شمالاً، وأن هؤلاء الكنعانيين كانوا يتحدثون العبرية بمختلف لهجاتها . وظهرت أيضاً " الهوية الصبارية " والتى تُنسب إلى الجيل الذى وُلد فى فلسطين، قبل وبعد قيام دولة إسرائيل، والذى نادى بضرورة الانفصال عن الشتات اليهودى، وخلق أمة عبرية جديدة فى كل شىء. كما نجد أيضاً "الهوية اليهودية" والتى شكلت هى الأخرى جزءاً من أزمة الهوية داخل المجتمع الإسرائيلى، وارتباطها بقانون العودة الذى أعطى الحق لكل يهودى أن يُهاجر إلى إسرائيل، وما تبع ذلك من محاولة تفسير من هو اليهودى؟، كما نجد "الهوية الإسرائيلية" والتى تشمل أهم ملامحها، الجنسية الإسرائيلية، وفصل الدين عن الدولة، عدم الاهتمام بالدين، والاهتمام بمظاهر السلطة والثراء، والحرب والسلام، وما نتج عن الصراع الإسرائيلى– العربى من ظهور، أو اختفاء أزمة الهوية داخل إسرائيل.

وإذا كنا قد استطعنا تحديد بعض السمات الأساسية، التى تُميز شخصية اليهودى أو الصهيونى، من خلال المأثورات التاريخية والأدبية، والثقافية، والدينية، التى تشترك فيها شخصية اليهودى، بالرغم من الاختلافات الجغرافية، فإن هذا الأمر يبدو صعباً إلى حدٍ ما بالنسبة إلى الشخصية الإسرائيلية، فمعظم الإسرائيليين يهود، وتلك حقيقة بسيطة، ولكن بنفس الدرجة فإن معظم اليهود ليسوا إسرائيليين. ومما لا شك فيه أن أى يهودى يهاجر إلى إسرائيل، أمريكياً كان أو روسياً أو إنجليزياً أو مغربياً أو مصرياً، يتغير تغيراً ملموساً عندما يُصبح إسرائيلياً. إنه يتشرب خصائص الحياة فى إسرائيل بجوانبها الدرامية الدقيقة، التى تُحدث تغيرات فى شخصيته، سواء بوعى أو بدون وعى . وإذا كان الدين هو الرابط المشترك الوحيد بين اليهود على مر التاريخ، إلا أن فى واقع إسرائيل نجد أن اندماج الحياة الدينية والتراثية فى حياة المجتمع أثر تأثيراً كبيراً على التخبط فى إيجاد حلول لمشكلة الهوية الإسرائيلية. فالحيرة والتوتر اللذين رافقا البحث عن الهوية، أصبح هو الطابع الذى ميَّز الواقع داخل إسرائيل منذ نشأتها وحتى الآن.

فقد أثرت الظروف التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، على شخصية وهوية اليهودى فى "الشتات"، فعانى صراعاً داخلياً، بين محاولة التمسك بهويته اليهودية المنعزلة، والانغلاق على نفسه، وبين رغبته فى الاندماج داخل الشعوب الأخرى، وتشبعه بكل تفاصيل وملامح هوية هذه الشعوب، واستمر هذا الصراع الداخلى حول هويته، بعد قيام دولة إسرائيل، حيث نشأ صراع جديد حول هويته، بين الهوية التى جاء بها، وبين الهوية الجديدة التى راح يؤسسها فى إسرائيل، والتى واجهت صعوبات كثيرة نتيجة للظروف الإجتماعية التى مر بها المجتمع، من اختلاف ثقافات المهاجرين، واختلافات بين الأشكنازيم والسفارديم، وأيضاً نتيجة ظروف سياسية، من صعوبات التكيف مع الوضع الجديد المبنى فى أساسه على احتلال أرض ليست لهم فى الأساس، والمواجهة مع الشعوب العربية، وما نتج عنه فى الدخول فى حروب كثيرة معهم، وهو ما ساعد على تأجيج شعورهم بعدم الانتماء لهذه الدولة الجديدة، وراحوا يبحثون عن هويتهم، سواء داخل الدولة أو خارجها.

أهمية البحث :

ترجع أهمية البحث إلى أن أزمة الهوية تعتبر من أبرز المشاكل التى واجهت اليهودى قبل قيام الدولة وبعدها، ووصل الأمر إلى ظهور عدة هويات ما بين يهودية، وصهيونية، وكنعانية، وصبارية، وإسرائيلية، فأدى ذلك بالفرد فى إسرائيل إلى أن يعيش فى حالة حيرة دائمة مع نفسه، حول ماضيه وحاضره ومستقبله، وأصبح فى حالة بحث دائم عن ذاته، وعن جذوره لتحديد هويته. ورغم أنه مر وقت طويل على إنشاء دولة إسرائيل (عام ١٩٤٨م)، إلا أن مشكلة تحديد الهوية لا تزال تهدد استقرار هذه الدولة. ونظراً لأن الأدب يُعد أحد المصادر الرئيسة لدراسة

الشعوب، فهو يمثل واحداً من أهم وأوثق السجلات المعرفية التى يمكن الاستناد إليها فى استقاء المعلومات من فى مجتمع من المجتمعات، والتى يَصعُب فى أحيان كثيرة رصدها عبر سائر المصادر المعرفية الأخرى من كتابات سياسية واجتماعية وفلسفية وما شاكلها. لذا فقد قمت بدراسة أزمة الهوية فى إسرائيل فى الأدب العبرى، خاصة وأن العديد من أدباء العبرية المعاصرين عبروا عن هذا الموضوع بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى بعض أعمالهم الأدبية،أمثال "ناتان شاحم" و"بنيامين تموز" و"ساميخ يزهار" و"شلومو نيتسان" .

ويعتبر "شلومو نيتسان" من أبرز هؤلاء الأدباء، والذى اهتم بمشاكل المهاجرين الجدد، وبموضوع الهوية، وأيضاً البحث عن الذات عند الشباب الإسرائيلى فى ظل واقع إسرائيلى محاط بالعرب، خاصةً فى روايته " إمبراطورية زميرى–بيكاسو الخاصة " التى أخذ البحث عن الهوية فيها صوراً وأشكالاً مختلفة، تكون مباشرة أحياناً، فيعبر بطل الرواية باللفظ الصريح عن أزمة الهوية لديه، وأحياناً أخرى تكون غير مباشرة من خلال حوارات داخلية، وأخرى خارجية بين الشخصيات .

من هنا ركز البحث على هذه الرواية بالدراسة التحليلية، لأنها تعكس بوضوح أزمة الهوية فى إسرائيل بكل ما فيها من تناقضات وثنائيات، وأنها تهتم بإبراز كافة التخبطات والحيرة التى تلازم الشخصيات الرئيسية فى الرواية تجاه هويتهم .

أهداف البحث :

- يهدف البحث إلى محاولة الكشف عن أبعاد أزمة الهوية بين يهود العالم عامة، وداخل إسرائيل خاصة، ومدى تأثيراتها على أفكارهم واتجاهاتهم .
- التعرف على مدى تأثر أزمة الهوية بالواقع اليهودى، بصفة عامة، والحروب التى مرت بها إسرائيل بصفة خاصة، من تأثيرات سياسية واجتماعية ونفسية، والتى أثرت على هوية اليهود قبل وبعد قيام إسرائيل .
- محاولة إبراز تخبطات الهوية التى صاحبتهم على مدار سنوات عديدة، تنقلوا فيها من الصهيونية إلى الكنعانية ثم إلى الصبارية وبعد ذلك ألى الإسرائيلية واليهودية، خاصة بعد قيام إسرائيل .
- توضيح نوعية القضايا التى تعبر عن صراع الهويات فى إسرائيل. كالعلاقة مثلاً بين جيل الآباء وجيل الأبناء، والحياة الأسرية، والهجرة وغيرها...
- محاولة التعرف على مدى انعكاس الصراع الإسرائيلى العربى على أزمة الهوية فى إسرائيل.
- التعرف على كيفية التناول الأدبى لأزمة الهوية داخل إسرائيل، والقضايا المتعلقة بها.

منهج البحث :

أما المنهج المُستخدم فى هذه الدراسة، فكان يَصعُب التقيد بمنهج معين من مناهج البحث، نظراً لطبيعة الدراسة، لذلك فقد تم استخدام المنهج الوصفى التاريخى، وذلك فى الفصول الخاصة بتناول الهوية بين الجماعات اليهودية فى أوروبا وإسرائيل، وكذلك المنهج التحليلى، فى الفصول الخاصة بتناول أزمة الهوية فى الأدب الإسرائيلى عامة، وفى رواية " إمبراطورية زميرى– بيكاسو الخاصة " خاصة.

الدراسات السابقة :

– "أزمة الهوية فى رواية السيرة الذاتية"، رسالة ماجستير بكلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، جامعة المنوفية، مقدمه من الباحثة/ دعاء محمد الديب عبد الرازق، بتاريخ ٢٠٠٥م.

تناولت الباحثة فى هذه الرسالة، دراسة الهوية فى رواية "هذا الذى فى مواجهتنا" للأديبة الإسرائيلية "رونيت متالون".

– "إشكالية الهوية فى الرواية العبرية المعاصرة"، رسالة ماجستير بكلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، جامعة المنوفية، مقدمه من الباحث/ عبده رمضان كامل حبيشى، بتاريخ ٢٠٠٦م.

تناول الباحث فى هذه الرسالة، موضوع الهوية بصورة عامة عند "بنيامين تموز"، "مئير شاليف"، "حانوخ برطوف"، "أفراهام بيت يهوشواع" .

كما هناك بعض المراجع التى تناولت موضوع الهوية باللغة العربية والعبرية، والتى اعتمدت عليها الباحثة داخل البحث.

وللوصول إلى أهداف البحث قسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة. يتناول التمهيد تعريف الهُوية من الناحية اللُغوية، ومن الناحية الاصطلاحية، أى ما اصطلح عليه علماء النفس والاجتماع لتعريف الهوية بشكلٍ عام .

ويناقش الباب الأول مفهوم الهوية بين الجماعات اليهودية فى المجتمعات الغربية، وينقسم إلى فصلين: الأول مفهوم الهوية بين الجماعات اليهودية فى أوروبا: ويتناول ملامح هوية اليهود فى الدول التى عاشوا فيها فى أوروبا قبل قيام الدولة، وأنماط الحياة التى شكلت شخصيتهم، وأثرت على هويتهم، مثل الجيتو وأسلوب الحياة فيه، وكذلك الاضطرابات التى سادت دول أوروبا، وما نتج عنها من اضطهادات لليهود، أثرت بشكلٍ أو بآخر على تكوين شخصيتهم العدوانية المنعزلة.

ويتحدث الفصل الثانى عن الهوية فى ضوء حركة التنوير اليهودية: ويعرض لتأثير حركة التنوير اليهودية على الهوية اليهودية، وما ترتب على دعوتها لليهود بالاندماج الكامل بين الشعوب الأخرى، حتى أصبحت هويتهم جزءاً من هويات تلك الشعوب .

ويتناول الباب الثانى أزمة الهويات فى الرواية العبرية المعاصرة، وينقسم إلى ثلاثة فصول: الأول بعنوان: الطرح الصهيونى للهوية فى أدب ناتان شاحم، وينقسم إلى مبحثين: الأول بعنوان: ملامح الهوية فى ضوء الطرح الصهيونى: ويتناول عرض للظروف التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، التى أسهمت فى ظهور هذه الهوية، وأهدافها، والسمات الرئيسة التى ميَّزتها، أثناء وبعد قيام دولة إسرائيل. ويحمل المبحث الثانى عنوان ملامح الطرح الصهيونى للهوية فى أدب ناتان شاحم، ويتناول سمات الطرح الصهيونى للهوية فى الأدب العبرى الحديث والمعاصر، وتجربة الفرد داخل إسرائيل الذى اصطدم بالواقع المرير الذى ينتظر هذه الدولة، فالحروب التى خاضتها إسرائيل بدءاً بحرب ١٩٤٨م، ثم حرب ١٩٦٧م وصولاً إلى حرب ١٩٧٣م وما ترتب عليها من مشكلات نفسية واجتماعية للفرد اليهودى، أدت إلى أن يكون الموضوع الرئيس للأدب هو تخبطات الشخصية الصهيونية ومعاناتها تجاه انتماءاتها وهويتها. وقمت بدراسة تحليلية لرواية "رباعية روزندورف" "لناتان شاحم"، والتى طرح فيها أبرز سمات الطرح الصهيونى للهوية فى الرواية، ما بين التأييد والرفض .

ويناقش الفصل الثانى الطرح الكنعانى للهوية فى أدب بنيامين تموز وينقسم إلى مبحثين: يتحدث الأول عن ملامح الطرح الكنعانى للهوية: ويتناول نشأة "الحركة الكنعانية"، وأهدافها، ومعتقداتها، التى اعتبرها اليهود تُمثل هويتهم التى يبحثون عنها، كما يتناول أيضاً الظروف التى أدت إلى عدم استمرارها كهوية دائمة لليهود، ويحمل المبحث الثانى عنوان: الطرح الكنعانى للهوية فى أدب بنيامين تموز، ويتناول سمات الطرح الكنعانى للهوية فى الأدب العبرى الحديث والمعاصر، وتعبيره عن أهم أسس الهوية الكنعانية، مثل الطفولة للتأكيد على أن الشباب العبرى هو مستقبل هذه الهوية، والطبيعة من أجل توسيع الرقعة الجغرافية لتشمل الشرق الأوسط كله، وقمت بدراسة تحليلية لرواية "يعقوب"، والتى تُعد من أهم الروايات التى توضح مدى نجاح أو فشل الحركة الكنعانية فى إرساء قواعد الهوية الكنعانية .

أما الفصل الثالث فيناقش الطرح الصبَّارى للهوية فى أدب ساميخ يزهار وينقسم إلى مبحثين: الأول بعنوان ملامح الطرح الصبَّارى للهوية: ويتناول الظروف التاريخية التى أدت إلى ظهور مصطلح "الصبار" وارتباطها باليهود الذين وُلدوا فى فلسطين، قبل وبعد قيام الدولة، وشعورهم بأنهم يشكلون بأفكارهم وثقافتهم، هوية خاصة بهم وحدهم، وتختلف تماماً عن هوية اليهود فى "الشتات". ويحمل المبحث الثانى عنوان الطرح الصبَّارى للهوية فى أدب ساميخ يزهار،

وفيه يتم عرض سمات الجيل الجديد فى إسرائيل. الذى أراد أن يمحو الوضع السابق من ذاكرته لكى يساعده هذا على بناء الواقع الجديد، وتحقيق الهوية الذاتية في انفصام تام. وقمت بدراسة تحليلية لرواية "ومضات" "لساميخ يزهار"، والتى يرصد فيها ملامح الهوية الصبارية، من تمرد الأبناء على الآباء الصهاينة، ومفهوم الإنتماء الذى يختلف عندهم عن الصهاينة، حيث يرفضون أى علاقة تربطهم بالجيل القديم، الذى يستخدم الحرب فى تحقيق أهدافه .

ويتناول الباب الثالث أزمة الهوية فى أدب شلومو نيتسان، رواية " إمبراطورية زميرى– بيكاسو الخاصة " نموذجاً، وينقسم إلى فصلين يسبقهما تمهيد يتناول حياة الأديب واتجاهاته الفكرية وأهم أعمالة الأدبية. ثم يأتى الفصل الأول للبحث عن الهوية فى رواية "إمبراطورية زميرى– بيكاسو الخاصة"، وينقسم إلى ثلاثة مباحث: الأول يناقش ملامح الهوية اليهودية فى الرواية: ويتناول سمات الهوية اليهودية كما تظهر عند شخصيات الرواية، حيث يرصد مدى الالتزام الدينى، والحفاظ على التقاليد والشريعة اليهودية، عند بعض الشخصيات من جهة، والانفصال عن الهوية اليهودية، وعدم الشعور بالانتماء إليها، عند البعض الآخر، من جهة أخرى.

ويعرض الثانى ملامح الهوية الإسرائيلية فى الرواية: ويتناول أبرز ملامح الهوية الإسرائيلية، عند الفرد فى إسرائيل، والتى تميزت بالانفصال التام عن الدين، والتركيز على علمانية الدولة، والذى تمثل فى حب الثراء والسلطة، واختلال القيم والمعايير الأخلاقية، كما صورتها بعض شخصيات الرواية، كما يعرض أيضاً لقضية النزوح من إسرائيل، والتى مثلت محوراً أساسياً فى مشكلة عدم الانتماء لدولة إسرائيل .

ويتناول المبحث الثالث: انعكاس الصراع الإسرائيلى – العربى على الهوية فى الرواية، وفيه يتم استعراض أشكال الصراع الإسرائيلى– العربى فى الرواية، وتصوير العربى بصورة سيئة، وتصوير مقاومته ضد الاحتلال بأنها إرهاب، وهى تعكس مدى كراهية الإسرائيليين للعرب، كما يعرض المبحث لتأثير استمرار الصراعات بين الجانبين، والذى يؤدى إلى تعميق الإحساس بانعدام الأمن والأمان، مما يجعل الإسرائيلى يبحث عن هويته فى مكان آخر غير إسرائيل .

ونظراً لأن الأديب يعتمد على بعض العناصر التقنية لتصوير أزمة الهوية والمعاناة النفسية الداخلية لشخصيات الرواية، فقد جاء الفصل الثانى لتوضيح كيفية انعكاس أزمة الهوية على العناصر التعبيرية فى الرواية، وينقسم إلى ثلاثة مباحث: الأول يتناول تقنية عتبات النص فى الرواية، لأنها تلعب دوراً مهماً فى الكشف عن أفكار ومعتقدات الكاتب، سواء عنوان الرواية أو الغلاف بشقيه الأمامى والخلفى، علاوة على دلالات الاسماء فى الرواية.

ويتناول المبحث الثانى تقنية المونولوج، حيث تلجأ الشخصية لإقامة مونولوج داخلى يصور الاسئلة التى تدور بداخلها حول هويتها ومصيرها.

أما المبحث الثالث فيتناول تقنية الديالوج أو الحوار، لأنه من العناصر التعبيرية الرئيسة التى يعتمد عليها الأديب فى الرواية لتوصيل أفكار الشخصيات عن وجودهم، وهوياتهم، وانتماءاتهم.

ويضم البحث خاتمة لعرض أهم النتائج التى أمكن التوصل إليها من خلال الدراسة ...

والله ولى التوفيق ،،،،